البشر والشعوب

معرب عن الافرنسية

علم خصوصيات الشعوب — يعمر الارض ناس قلما يتشابهون ، يختلفون بالطول وهيئة الاعضاءِ والرأس وسيماءِ الوجه ولون العيون والشعور ويتباينون باللغات والذكاء والاحساس . وبهذا التمايز ينقسم سكان المعمور الى عدة أقوام تدعى أجناساً . فالجنس مجموع ناس يتماثلون ويباينون جنساً آخر وما يمتاز به جنس عن غيره من العلامات العامة ويسمى طبائع وأخلاقاً هو الذي يتألف منه مجموع خواصه . فيعرف الجنس الزنجي مثلا بجلد أسود، وشعور مجعدة، واسنان بيضاء، وأنف أفطس، وشفاه خنس، وفك ضخم . ويدعى درس احوال الاجناس وما يتشعب عنها « ايتنوغرافيا » أي علم خصوصيات الشعوب . وهو علم لم يرتقِ بعد لحداثة وضعه ومابرح مشوشاً منتشراً لكثرة مجموع خواص البشر وصعوبة التميز بينها احياناً .

الاجناس — أخص الاجناس الجنس الابيض وهو يسكن أوربا وشمالي إفريقية وغربي آسيا . والجنس الاصفر ينزل في آسيا الشرقية ومنه الصينيون والمغول والترك والمجر . ومن دخل اوربا منهم من الفاتحين فبشرته صفراء وعيونه خُرز مقطبة ووجناته ناتئة ولحيته خفيفة . والجنس الاسود يقطن أواسط إفريقية وهم الممتازون باديم اسود وأنف أفطس ووفرة كالصوف . والجنس الاحمر يستوطن أميركا ومنهم هنود تلك القارة حمر الاديم سبط الشعور

الشعوب المتحضرة — يُعدُّ أهل الجنس الابيض من المتحضرين الا قليلا أما سائر الاجناس فقد ظلوا على حالة الهمجية والبربرية كما كان الناس قبل زمن التاريخ . قامت الشعوب المتمدنة على تخوم قارتي آسيا وإفريقية فقام

المصريون في وادي النيل والكلدان في سهل الفرات . وكلهم أهل فلح وحرث ألفوا الاقامة وجنحوا للسلم . أديمهم مشبع، وشعرهم قصير أثيث، وشفاههم مبرطمة، ولا يعلم على التحقيق من أين منبعثهم . ولم تتفق آراء العلماء على تسميتهم فيدعونهم تارة كوشيين وأخرى ساميين . وقد انسالت من جبال آسيا بين القرن العشرين والخامس والعشرين ق . م عصابات من الرعاة أهل غارة وزعماء فتنة فانتشروا في أطراف أوربا كافة وفي غرب آسيا . ويقسمهم العلماءُ الى قسمين آريين وساميين .

الآريون والساميون — ليس بين هذين الجنسين من علامة خارجية جلية فكلاهما من الجنس الابيض : اهليلجية سحناتهم ، متناسبة أعضاؤهم، صافية جلودهم ، أثيثة شعورهم ، نُجل عيونهم ، رقيقة شفاههم ، منتصبة أرنبتهم ، وهم في الاصل رعاة من سكان الجبال يألفون الارتحال والقتال . ساميهم من أرمينية ، وآريهم من وراء جبال حملايا وهم يمتازون بالعقل واللسان خاصة امتيازهم بالديانة قديماً . وقد وقع الاتفاق على تسمية الشعوب التي تتكلم لغة آرية بالآريين وهم الهنود والفرس في آسيا . والروم والطليان والاسبان والجرمان والسكنداويون والسلافيون (الروس والبولونيون والصرب) والسلت (١) في أوربا . والساميون هم الشعوب التي تتكلم لغة سامية وهم العرب واليهود والسوريون ومما ينبغي ان يعلم ان بعض الشعوب تتكلم لغة آرية او سامية وليست من الآريين والساميين في شيء كما ان الزنجي قد يتكلم الانكليزية وليس فيه عرق من الانكليز . وربما عددنا كثيراً من الاوربيين في مصاف الآريين وليست اصولهم في الواقع الا من

---

(١) الانكليز والفرنسيس من السلتيين والجرمانيين

جنس غلب عليه الآريون فاقتبس لغاتهم على نحو ما اقتبس الفرس لغة العرب ايام غلبوهم على امرهم. فهذان الاسمان الآري والسامي يطلقان اليوم على فريقين من الشعوب وليسا جنسين حقيقيين . ولا بأس ان يقال بناء على هذا المعنى ان الشعوب المرتقية كانت كلها سامية وآرية فنشأ من الساميين الفينيقيون رجال البحار واليهود رجال الدين والعرب رجال الحرب فسار فريق من الآريين الى الهند وانصرف آخر الى اوربا فنشأت منهم تلك الامم التي كانت ولا تزال في مقدمة العالم . ولقد امتاز الهنود في القديم بآرائهم العالية الفلسفية او الدينية واليونان بايجاد الصنائع والعلم والفرس والرومان بتأسيسهم في الشرق والغرب مملكتين عظيمتين من اضخم الممالك التي نشأت في الايام الخالية

ويبدأ تاريخ الحضارة بالمصريين والكلدانيين حتى اذا كان القرن الخامس والعشرون للميلاد يصير عبارة عن تاريخ الشعوب الآرية والسامية

التاريخ

الاساطير — نقلت أساطير الاولين عن روايات متسلسلة طالما تحدث الناس بها قبل ان يدونوها لذلك تراها مشوبة بحكايات وخرافات . فتحدث اليونان ان أقدم أبطالهم أبادوا الغيلان وقاتلوا الجبابرة وكافحوا الآلهة وزعم الرومان ان روماس ربته ذئبة ورفع الى السماء وقص جماع الشعوب عن طفوليتهم اساطير من هذا القبيل لا ثقة بها عند التمحيص مهما قدم عهدها

التاريخ — يبدأ التاريخ حقيقة لدن وجود اخبار صحيحة دونها اهل ثقة وعلو سماع . وليس هذا الدور واحداً في الكلام على الامم كلها فتاريخ مصر يبدأ قبل ثلاثة آلاف سنة ق . م وتاريخ اليونان يكاد لا يتعدى

الثامنة سنة ق . م وليس لالمانيا تاريخ يعرف الا في القرن الاول للميلاد ويعرف تاريخ روسيا منذ القرن العاشر وليس لبعض القبائل المتوحشة الى اليوم تاريخ في نشأتها

تقاسيم التاريخ الكبيرة — يبدأ تاريخ الحضارة باقدم شعب متمدن وينتهي بايامنا فمعنى القرون الماضية الدور العريق في القدم جداً ومعنى القرون الحديثة الدور الذي نحن فيه

التاريخ القديم — يبدأ التاريخ القديم بالامم القديمة المعروفة من المصريين والكلدانيين أي من نحو ثلاثة آلاف سنة ق . م ويعم شعوب الشرق من هنود وفرس وفينيقيين ويهود ويونان ورومان وينتهي حوالى القرن الخامس ب . م بسقوط المملكة الرومانية

التاريخ الحديث — يبدأ التاريخ الحديث باواخر القرن الخامس عشر زمان اختراع الطباعة واكتشاف اميركا وبلاد الهند ونهضة العلوم والصنائع ويلم بذكر شعوب الغرب خاصة من اسبان وطليان وفرنسيس والمان وروس وأميركان .

القرون الوسطى — هي عبارة عن عشرة قرون مضت بين القرون القديمة والحديثة فلا هي قديمة لما اعتور الحضارة القديمة من الاضمحلال ولا هي حديثة لان التمدن الحديث لم يتكون بعد . وهذا مايدعى بالجيل المتوسط .

مصادر تاريخ الحضارة القديمة — ليس في الوجود اليوم اشوريون ولا يونان ولا رومان فقد بادت الشعوب القديمة كافة وما خلفوه من العاديات هي فهرست نستفتيه للبحث عن اديانهم وأخلاقهم وصنائعهم . والعاديات هي الكتب والرسوم والآثار واللغات . هذه عدتنا في دراسة الحضارة

القديمة وهي تدعى مصادر لانا نستقي منها معلوماتنا . والتاريخ القديم يتفرع من هذه الاصول .

الكتب — وضع القدماء الكتب أيام عرفوا الكتابة فكان لبعضهم مثل الفرس واليهود والهنود كتب مقدسة وخلف الرومان واليونان تواريخ وقصائد وخطباً ومقالات فلسفية . وقلما نجد في الكتب المواد اللازمة لمباحثنا اذ ليس لدينا كتاب اشوري ولا فينيقي أما مابقي من أسفار الشعوب الأخرى فتافه جداً . ولقد كان القدماء يكتبون ولكن أقل منا ولذلك كانت تآليفهم اندر ولم يكن لهم من كل مصنف إلا نسخ قليلة لما ان الحال كانت تقضي باستنساخها كلها باليد وقد دثر غالب هذه النسخ أوضاع أو تعذرت قراءة مابقي منه ويسمى علم حلها «باليوغرافيا» أي علم الخطوط والكتابات القديمة .

المعاهد — أقامت الشعوب القديمة لانفسها معاهد مثلنا من مثل معابد لاربابها وقصور لملوكها وقبور لموتاها وقلاع وجسور وقنوات وأقواس نصر . ولقد تهدم كثير من هذه المعاهد واستؤصل وتجزأ بيد العدو أو بيد سكان البلاد ومنها مالم تقو الغير على تقويض دعائمه وما فتئت ماثلة للعيان متداعية مثل القصور العتيقة لانقطاع الايدي عن تعهدها . وقد بقيت بقية يعلم منها ما كانت عليه سالفاً . وما زال بعض هذه المعاهد فوق التراب كالاهرام في مصر ومعابد ثيبة وجزيرة فيلا وقصور البرسبوليس في فارس والبارتينون في اليونان والكوليزة في رومية والبيت المربع وجسر الحرس في فرنسا . وان السائح لعهدنا لينظر الى هذه الآثار نظر دلائر حديث . وقد ردم أغلب هذه المعاهد على التدريج بتراب أو رمل أو فتات أرضية وانقاض فينبغي

تخليصها من هذا الساف الكثيف أو حفر أرضها وكثيراً ماتكون عمقة للغاية. ولم يعثر على القصور الاشورية الا بخرق آكام وتلال . وقد حفرت حفرة عمقها اثنا عشر متراً للوصول الى قبور ملوك ميسينا

وبعد فان عفاء هذه الخرائب لم يكن يصنع الدهر وحده فللبشر اليد الطولى في ذلك . ولم يكن القدماء ليتعبون مثلنا في التقدير والقياس لاقامة البناء . وما عنوا بنزع الردم من أماكنه بل كانوا يركمون الانقاض ويبنون عليها ولا ينزعونها حتى اذا أشرف البناء الجديد على السقوط تنضم انقاضه الى اطلال اخواتها القديمة وهكذا تتألف طبقات عديدة من الانقاض . وقد جاز أحد السياح المدعو شيلمان بحفرة في مكان مدينة تروادة خمس طبقات من الاطلال اذ كان تحت خمس مدن خربة كلها واعتقها على عمق خمسة عشر متراً . وما برحوا يعثرون في رومية في الاحايين على ثلاث بنايات منضدة بعضها فوق بعض وقد تراكمت عليها الاطلال فعلا التراب في سفح التلال بضعة أمتار

بقيت مدينة برمتها لم تمسسها طوارق الحدثان وذلك بحادث طبيعي جرى عام ٧٩ للمسيح وهو ان بركان فيزوف في ايطاليا قذف سيلاً من الحمم مائعة أمطرت رماداً فانكشفت للحال مدينتان رومانيتان كانتا مدفونتين وهما هيركولانوم وبومبيه . كانت الاولى تحت الحمم السائلة والثانية تحت الرماد . وقد أحرقت الحمم المتاع وغشاها الرماد وحفظها من الهواء فبقيت سالمة . وكلما أزيح الرماد تظهر مدينة بومبيه للاعين على نحو ما كانت عليه منذ ثمانية عشر قرناً . وانك لترى في بلاطها بعد مجرات العجلات وآثار سير المركبات وصوراً خطت بالفحم في الحيطان ونقشاً وأثاثاً وماعوناً

وخبزاً وجوزاً وزيتوناً في الدور والمساكن وهيا كل عظام من دهمتهم الكارثة مبعثرة مبددة. وبهذا عرف القارئ ان الآثار والمعاهد تفيدنا كثيراً في الوقوف على حالة الشعوب القديمة. ويدعى علم الازمنة القديمة «أركيولوجيا»

الرسوم — نعني بالرسوم كل مايشمل الخطوط عدا الكتب فمعظم الرسوم زبرت على الحجر وحفر بعضها في صفائح من القلز ووجد منها في مدينة پومپيه مازبر على الجدران بالاصباغ أو بالفحم. وان بعض هذه الرسوم لتمثل تذكارات وقائع أو رجال كما هو جار الآن عند الافرنج فيما يقيمونه من تماثيلهم وبناياتهم. هكذا نرى الامبراطور اغسطس دوّن حياته على معبد انسير ومعظم هذه الرسوم عبارة عن كتابات زبرت على القبور ويماثل بعضها الاعلانات لعهدنا فتحتوي على قانون أو نظام تراد إذاعته بين القوم. ويدعى علم الرسوم «ايكرافيا»

اللغات — تفيد اللغات التي نطقت بها الشعوب القديمة في بيان تاريخهم فاذا فهم الباحث كلمات من لغتين مختلفتين ينجلي له أحياناً أن أصل هذين اللسانين واحد ويسجل بان الشعوب التي تكلم بها خرجت من نبعة واحدة. ويدعى علم اللغات « لينكستيك »

النواقص — لايذهبن ذاهب الى ان الكتب والمعاهد والاطلال واللغات تكفي للاحاطة بتاريخ القرون السالفة فان فيها تفاصيل جمة يمكن الاستغناء عنها وما ترغب نفوس الباحثين في استبطان حقيقته قد يعز عليها ويفر منها. وما برح العلماء يحفرون ويحلون ويظفرون كل يوم باطلال ومعاهد لم تعرف من قبل وقد بقيت مع هذا نواقص وسيبقى كذلك أبد الدهر